دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	دراسات قرآنية : الأمثال فى القرآن " الحلقة الثالثة "
المصدر:	التوحيد
الناشر:	جماعة أنصار السنة المحمدية
المؤلف الرئيسي:	البصراتي، مصطفى
المجلد/العدد:	س42, ع497
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	2013
الشهر:	جمادى الأول
الصفحات:	33 - 35
رقم MD:	748604
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	IslamicInfo
مواضيع:	أمثال القرآن، معاني القرآن، ألفاظ القرآن، تفسير القرآن
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/748604

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

الأمثال في القرآن

إعداد/ مصطفى البصراتي

الحلقة الثالثة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

في هذا المقال نتحدث عن المثل الثاني في القرآن، وهو من سورة البقرة في الآيتين: التاسعة عشرة والعشرين، وهو قوله تعالى: "أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (19) يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" [البقرة: 19 – 20].

التفسير المفصل:

قوله تعالى: " أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ.." "أو" هنا للتنويع لأن المثل الثاني نوع آخر، والكاف اسم بمعنى "مثل" – و "أو" عطفت لفظ (صيب) على الذي (استوقد ناراً).

إذن المثل هنا في قوله تعالى: " أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ " [البقرة: 19] عطف على التمثيل السابق وهو قوله تعالى: " مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا " [البقرة: 17] أعيد تشبيه حالهم بتمثيل آخر وبمراعاة أوصاف أخرى، فهو تمثيل لحال المنافقين المختلطة بين جواذب ودوافع؛ حين يجاذب نفوسهم جاذب الخير عند سماع مواعظ القرآن وإرشاده، وجاذب الشر من أعراق النفوس والسخرية بالمسلمين، بحال صيب من السماء اختلطت فيه غيوث وأنوار ومزعجات وأكدار، جاء على طريقة بلغاء العرب في التفنن في التشبيه.

و(الصيب): المطر النازل من السماء يصيب البلاد فتحيا به.

قال القاسمي: الصيب: هو المطر الذي يصوب (أي ينزل) من علو إلى أسفل – فشبه الهدى – الذي هدى الله به عباده بالصيب؛ لأن القلوب تحيا به حياة الأرض بالمطر، ونصيب المنافقين من الهدى بنصيب من لم يحصل له نصيب من الصيب إلا ظلمات ورعد وبرق، ولا نصيب له فيما وراء ذلك – مما هو المقصود بالصيب من حياة البلاد والعباد والشجر والدواب، وأن تلك الظلمات التي فيه وذلك الرعد والبرق، مقصود لغيره، وهو وسيلة إلى كمال الانتفاع بذلك الصيب.

و"السماء": قال الشيخ ابن عثيمين: المراد بـ "السماء" هنا العلو، وقال الشوكاني في فتح القدير: والسماء في الأصل كل ما علاك فأظلك، ومنه قيل لسقف البيت: سماء، والسماء أيضاً: المطر، سمي به لنزوله منها.

وقال ابن عاشور: والسماء تطلق على الجو المرتفع فوقنا الذي تخاله قبة زرقاء، وعلى الهوى المرتفع قال الله تعالى: " كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ " [إبراهيم: 24]، وتطلق على السحاب، وتطلق على المطر نفسه، ففي الحديث: "خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم على إثر سماء كانت من الليلة..." والحديث متفق عليه.

قوله تعالى: "فيه ظلمات" أي: معه ظلمات؛ لأن الظلمات تكون مصاحبة له، وهذه الظلمات ثلاث: ظلمة الليل، وظلمة السحاب، وظلمة المطر، والدليل على أنها ظلمة الليل قوله تعالى بعد ذلك: " يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ " [البقرة: 20]، وقوله تعالى: " كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ " [البقرة: 20]، وهذا لا يكون إلا في الليل. والثاني: ظلمة السحاب؛ لأن السحاب الكثير يتراكم بعضه على بعض، فيحدث من ذلك ظلمة فوق ظلمة. والثالث: ظلمة المطر النازل؛ لأن المطر النازل له كثافة تحدث ظلمة، هذه ثلاث ظلمات، وربما تكون أكثر، كما لو كان في الجو غبار.

قوله تعالى: "ورعد وبرق" [البقرة: 19] التنوين في الكل للتفخيم والتهويل – كأنه قيل: فيه ظلمات داجية، ورعد قاصف، وبرق خاطف. [قاله القاسمي في محاسن التأويل].

و"الرعد" هو الصوت الذي نسمعه من السحاب، أما (البرق)، فهو النور الذي يلمع في السحاب، فهؤلاء عندهم ظلمات في قوبهم – فهي مملوءة ظلمة من الأصل. أصابها صيب – وهو القرآن – فيه رعد، والرعد هو وعيد القرآن، إلا أنه بالنسبة لهؤلاء المنافقين

وخوفهم منه كأنه رعد شديد، وفيه برق – وهو وعد القرآن، إلا أنه بالنسبة لما فيه من نور وهدى يكون كالبرق؛ لأن البرق ينير الأرض. (قاله ابن عثيمين).

قوله تعالى " يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ " [البقرة: 19] الضمير في "يجعلون" يعود على أصحاب الصيب، ففيها حذف المضاف، والتقدير: أصحاب الصيب؛ لأنه ليس المشبه به هنا هو الصيب، وإنما المشبه به الذين أصابهم الصيب.

"أصابعهم" أصابع جمع أصبع – قاله النيسابوري في غرائب القرآن – وإنما لم يقل أناملهم مع أنها هي التي تجعل في الآذان؛ لأن في ذكر الأصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الأنامل، ولأن اسم الكل قد يطلق على البعض، نحو: " فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا " [المائدة: 38]، والمراد إلى الرسغ، وليس بعض الأصابع، كالمسبحة مثلاً يجعلها في الآذان – أولى من بعض حتى يقال: لم ذكر العام والمراد الخاص؟ قال مقاتل: " يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ " [البقرة:19]، يقول: مثل المنافق إذا سمع القرآن صم على أذنيه كراهة للقرآن، بمنزلة الذي يجعل أصبعيه في أذنيه من شدة الصاعقة.

قال ابن عثيمين رحمه الله: وقد قيل: إن في الآية مجازاً من وجهين؛ الأول: أن الأصابع ليست كلها تجعل في الآذان، والثاني: أنه ليس كل الأصبع يدخل في الأذن، والتحقيق: أنه ليس في الآية مجاز، أما الأول: فلأن "أصابع" جمع عائد على قوله تعالى: "يجعلون" فيكون من باب توزيع الجمع على الجمع – أي يجعل كل واحد منهم أصبعه في أذنه، وأما الثاني: فلأن المخاطب لا يمكن أن يفهم من جعل الأصبع في الأذن أن جميع الأصبع تدخل في الآن، وإذا كان لا يمكن ذلك امتنع أن تحمل الحقيقة على إدخال جمع الأصبع، بل الحقيقة أن ذلك إدخال بعض الأصبع، وحينئذ لا مجاز في الآية.

على أن القول الراجح أنه لا مجاز في القرآن أصلاً؛ لأن معاني الآيات تدرك بالسياق، وحقيقة الكلام: ما دل عليه السياق – وإن استعملت الكلمات في غير أصلها، وبحث ذلك مذكور في كتب البلاغة وأصول الفقه. انتهى كلام ابن عثيمين.

قوله تعالى: " مِنَ الصَّوَاعِقِ " [البقرة: 19]، "من" سببية – أي يجعلونها بسبب الصواعق، و"الصواعق" جمع صاعقة، وهي تصعق – أي تهلك من أصابته، هذه الصواعق معروفة بآثارها، فهي نار تنطلق من البرق، فإذا أصابت أحداً أو شيئاً أو حرقته، وغالباً تسقط على النخيل، وتحرقها، وترى فيها النار والدخان، وأحياناً تسقط على المنازل وتهدمها؛ لأنها كتلة نارية تنطلق بشدة لها هواء تدفعه أمامها، فيجعلون أصابعهم في آذانهم من هذه الصواعق لئلا يموتوا، ولكنهم لا ينجون منها بهذا الفعل، إلا أنهم كالنعامة إذا رأت الصياد أدخلت رأسها في الرمل لئلا تراه، وتظن أنها إذ لم تره نجت منه، وكذلك الذين يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق لا يسلمون بهذا، إذا أراد الله تعالى أن يصيبهم أصابهم، ولهذا قال الله تعالى " وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ " [البقرة: 19] فلن ينفعهم.

وروى ابن جرير الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: " أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ " [البقرة: 19]، أي هم في ظلمات ما هم فيه من الكفر والحذر من القتل – على الذي هم عليه من الخلاف والتخويف منكم – على مثل ما وصف من الذي هو في ظلمة الصيب، فجعل أصابعه في أذنيه من الصواعق حذر الموت.

(يكاد البرق يخطف أبصارهم) أي: لشدة ضوء الحق – كلما أضاء لهم مشوا فيه، وإذا أظلم عليهم قاموا، أي يعرفون الحق ويتكلمون به، فهم من قولهم به على استقامة، فإذا ارتكسوا منه إلى الكفر قاموا متحرين. ا هـ.

قال ابن عطية في المحرر الوجيز، قال جمهور المفسرين: "مثل الله تعالى القرآن بالصيب؛ لما فيه من الإشكال عليهم، والعمى: هو الظلمات، وما فيه من الوعيد والزجر هو الوعد، وما فيه من النور والحجج الباهرة التي تكاد أن تبهرهم وهو البرق وتخوفهم وتروعهم، وحذرهم هو جعل أصابعهم في آذانهم، وفضح نفاقهم، واشتهار كفرهم، وتكاليف الشرع التي يكرهونها من الجهاد والزكاة ونحوه هي الصواعق". ا هـ.

قوله تعالى: " يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ": ولما بين الله شدة الصوت، وأنهم لفرارهم منه، وعدم تحملهم إياه يجعلون أصابعهم في آذانهم بين شدة الضوء عليهم، فقال تعال: " يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ " [البقرة: 20] أي يقرب أن يخطف أبصارهم – أي يأخذها بسرعة، فتعمى؛ وذلك لقوته وضعف أبصارهم، فالله تعالى شبههم في كفرهم ونفاقهم بقوم كانوا في مفازة وسواد في ليلة مظلمة أصابهم مطر فيه ظلمات، من صفتها أن الساري لا يمكنه المشي فيها، ورعد من صفته أن يضع السامعون أصابعهم في آذانهم من هوله، وبرق من صفته أن يقرب من أن يخطف أبصارهم ويعميها من شدة توهجه.

المعنى الإجمالي

فهذا مثل ضربه الله للقرآن، وصنيع الكافرين والمنافقين معه، فالمطر: القرآن؛ لأنه حياة القلوب كما أن المطر حياة الأبدان، والظلمات: ما في القرآن من ذكر الكفر والشرك، والرعد: ما خوفوا به من الوعيد وذكر النار، والبرق ما فيه من الهدى والبيان والوعد وذكر الجنة، فالكافرون يسدون آذانهم عند قراءة القرآن مخافة ميل القلب إليه؛ لأن الإيمان عندهم كفر، والكفر موت، يكاد البرق يخطف أبصارهم أي: القرآن يبهر قلوبهم، وقيل: هذا مثل ضربه الله للإسلام، فالمطر: الإسلام، والظلمات: ما فيه من البلاء والمحن، والوعد: ما فيه من الوعيد والمخاوف في الآخرة، والبرق: ما فيه من الوعد.

(يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ)، يعني: أن المنافقين إذا رأوا في الإسلام بلاء وشدة هربوا حذراً من الهلاك، والله محيط بالكافرين: جامعهم، يعني: لا ينفعهم هربهم؛ لأن الله تعالى من ورائهم يجمعهم فيعذبهم.

يكاد البرق، يعني، دلائل الإسلام تزعجهم إلى النظر لولا ما سبق لهم من الشقاوة. قوله تعالى: " كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ " [البقرة: 20]، فكأنهم ينتهزون فرصة الإضاءة ولا يتأخرون عن الإضاءة طرفة عين، كلما أضاء لهم – ولو شيئاً يسيراً – مشوا فيه، وقيل: معناه كلما نالوا غنيمة وراحة في الإسلام ثبتوا وقالوا: إنا معكما، وإذا أظلم عليهم، يعني: إذا راوا شدة وبلاء قاموا (أي تأخروا) ووقفوا (أو قعدوا) كما قال الله تعالى: " وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ " [الحج: 11]. قاله البغوي.

قوله تعالى: " وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ " [البقرة: 20] دون أن تحدث الصواعق، ودون أن يحدث البرق؛ لأن الله تعالى على كل شيء قدير، فهو قادر على أن يذهب السمع والبصر بدون أسباب: فيذهب السمع بدون صواعق، والبصر بدون برق، قال الحسن: "ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم" عقوبة لهم حين أظهروا الإيمان، وأسروا الشرك.

قوله تعالى: " إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " [البقرة: 20]، فهو سبحانه قدير قادر مقتدر والقدير أبلغ في الوصف من القادر. قاله الزجاجي. وإنما خص هنا تعالى صفته التي هي القدرة بالذكر دون غيرها، لأنه تقدم ذكر فعل مضمنه الوعيد والإخافة، فكان ذكر القدرة مناسباً لذلك، والله أعلم. [قاله القرطبي].

الفوائد:

1- من فوائد الآيتين: تهديد الكفار بأن الله محيط بهم؛ لقوله تعالى: " وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ " [البقرة: 19].

2- ومنها: أن البرق الشديد يخطف البصر، ولهذا ينهى الإنسان أن ينظر إلى البرق حال كون السماء تبرق، لئلا يخطف بصره.

3- ومنها: أن من طبيعة الإنسان اجتناب ما يهلكه؛ لقوله تعالى: " وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا " [البقرة: 20].

4- ومنها: إثبات مشيئة الله، لقوله تعالى: " وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ" [البقرة: 20].

5- ومنها: أنه ينبغي للإنسان أن يلجأ إلى الله عز وجل أن يمتعه بسمعه وبصره؛ لقوله تعالى: " وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ " [البقرة 20] وفي الدعاء المأثور: "اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا أبداً ما أحييتنا". أخرجه الترمذي وحسنه الألباني.

6- ومنها: أن من أسماء الله أنه "قدير" على كل شيء.

7- ومنها: عموم قدرة الله تعالى علي كل شيء، فهو جل وعلا قادر على إيجاد المعدوم، وإعدام الموجود، وعلى تغيير الصالح إلى فاسد، والفاسد إلى صالح، وغير ذلك. والله أعلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.